



Rewaqa Baghdad center for public policy

مركز رواق بغداد للسياسات العامة



تحليل زيارة البابا فرنسيس ولقائه بآية الله العظمى السيد السيستاني



كتابة : مصطفى بروجدي

ترجمة مصطفى الساعدي

كانت زيارة البابا فرنسيس زعيم الكنيسة الكاثوليكية إلى العراق، والتي تمت في الفترة من 6 إلى 7 آذار / مارس 2021م، أول زيارةٍ لزعيم كاثوليكي إلى العراق، وأول زيارة للبابا فرنسيس خلال جائحة كورونا.

لتحليل هذا الحدث نحتاج أولاً إلى معرفة الوضع الحالي للمسيحيين في العراق. في التعداد السكاني الأخير عام 1987م، كان عدد المسيحيين العراقيين 1.262.000 (حوالي 4% من سكان العراق). عاش السكان المسيحيون في العراق بشكلٍ رئيسي في مدن البصرة والناصرية وبغداد وبعقوبة والعمارة وكركوك والسليمانية وشقلاوة وأربيل والموصل ودهوك وقرقوش.

كان المسيحيون يعيشون حياتهم ويمارسون عبادتهم بسلامٍ قبل الاحتلال، لكن الظروف تغيرت كثيراً مع غزو الولايات المتحدة وحلفائها للعراق عام 2003م، حيث كان للمسيحيين نصيبهم من تردّي الأمن في العراق؛ ونظراً لدواعٍ أمنية وخوفاً من تعرّض الكنائس لهجمات انتحارية، فقد أغلقت تلك الكنائس الواحدة تلو الأخرى في مدينة بغداد وغيرها من المدن.

ومع بروز داعش وسيطرته على محافظة نينوى، بدأت موجةٌ عنفٍ جديدةٍ بحقّ المسيحيين؛ مما دفعهم في غالب الأمر لترك منازلهم والهجرة من مناطق سكناهم. وكانت نسبة هذه الأحداث أعلى في الجزء الشمالي من العراق، مقارنةً بأجزاء البلاد الأخرى. وازدادت هذه الأحداث لدرجة وصل فيها عدد المتبقي من المسيحيين في العراق حالياً ما بين 200-300 ألف نسمة فقط، وفق إحصائيات غير رسميّة.

أهداف الفاتيكان من التخطيط لزيارة البابا للعراق:

في هكذا ظروف فإنّ للفاتيكان أهدافاً متعدّدةٍ من سفر البابا إلى العراق:

1. تشجيع المسيحيين العراقيين المهاجرين في العودة إلى لعراق.
2. دعم إعادة بناء الكنائس والمؤسسات المسيحية المدمّرة، خاصةً تلك التي دُمّرت أثناء هجمات داعش والقاعدة.

3. دعم المسيحيين المتواجدين في العراق.
4. طلب دعم المؤسسات الشعبية لإعادة بناء المنازل والأماكن المدمرة الخاصة بالمسيحيين خلال اضطرابات العشرين عام الماضية.
5. المطالبة بمكانة سياسيّة واجتماعية أفضل للمسيحيين العراقيين.
6. طلب إعادة النظر بالقوانين التي تتعارض مع حقوق المسيحيين. (على سبيل المثال المادة (26) من قانون الجنسية والذي يعدّ الطفل تحت (18) عاماً مسلماً، إذا كان أحد والديه قد اعتنق الإسلام).
7. طلب المزيد من دعم الحكومة من الناحية الأمنية للمناطق التي يسكنها المسيحيين.

اللقاء مع آية الله العظمى السيد السيستاني:

أحد الجوانب المهمة في سفر البابا إلى العراق هو لقائه بسماحة آية الله العظمى السيد السيستاني في مدينة النجف الأشرف. هذا اللقاء الفريد من نوعه والذي يعدّ في حدّ ذاته نقطة تحوّل في تاريخ علاقات الديانتين الإسلامية والمسيحية، خاصةً الإسلام الشيعي والمسيحية الكاثوليكية، قد وُضع بدقةٍ وذكاءٍ. وسنشير هنا إلى أهداف البابا وسماحة آية الله العظمى السيد السيستاني من هذا اللقاء.

أهداف البابا فرنسيس من لقائه بآية الله العظمى السيد السيستاني:

1. التقدير من المرجعية الشيعية خاصةً آية الله العظمى السيد السيستاني، لدورها البناء في دعم الأقليات، خاصةً المسيحيين في العراق.
2. طلب المزيد من دعم آية الله العظمى السيد السيستاني، وخلق مناخ للتعايش السلمي بين أتباع الديانات المختلفة في العراق مستقبلاً.
3. الاعتراف عملياً بالإسلام الشيعي إلى جانب الإسلام السنّي، الذي كانت له علاقات وتبادل آراءٍ كثيرةٍ مع الفاتيكان على مرّ السنين.

4. الاعتراف عملياً بمكانة النجف في حوار الأديان مع الشيعة، إلى جانب مكانة إيران منذ عقود.
5. دعم آراء آية الله العظمى السيد السيستاني فيما يخصّ التيارات التكفيرية.

أهداف آية الله العظمى السيد السيستاني من لقائه بالبابا فرنسيس:

يمكن أيضاً تلخيص أهداف سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني في قبول طلب لقاء البابا فرنسيس على النحو التالي:

1. عرض الإسلام العقلاني بقراءة شيعية في مواجهة قيادة دينية تتعارض معها في المعتقدات. فقد استعرضت المرجعية الشيعية الأخلاق المحمدية والسيرة العلوية خلال استقبال البابا فرنسيس من قبل آية الله العظمى السيد السيستاني في بيته، ويأتي ذلك في وقتٍ تصرفت فيه التيارات المتشددة العنيفة بأسوأ وأبشع الطرق مع أتباع الأديان والمذاهب الأخرى.
2. الإعلان عن الاستعداد الحقيقي لدعم التعايش السلمي بين أتباع الأديان المختلفة في العراق.
3. إعلان التعاطف مع ضحايا أعمال العنف التي حدثت باسم الدين في العراق.
4. استنكار الأعمال التي تقوم بها التيارات التكفيرية وذلك عن طريق استقبال زعيم الكاثوليك في منزله.
5. الإعلان عن دعم المسيحيين العراقيين في حقوقهم المدنية.
6. التذكير بدور الدين والقيادة الدينية والأهمية التي توليها للمسائل المهمة في العالم، وأنّ القيادات الدينية يجب ألا تتجاهل معاناة المجتمعات البشرية، خاصةً قضية فلسطين، التي تعدّ أهمّ موضوعٍ وجرحٍ عميقٍ في الشرق الأوسط؛ بسبب السياسات المتبعة من قبل الكيان الصهيوني، حيث تضرّر ملايين المسلمين والمسيحيين في العقود الماضية، وفقدوا منازلهم وما يمتلكون بسبب تلك السياسات.

1. من دون شكّ أنّ لقاء البابا مع آية الله العظمى السيد السيستاني هو نتيجة حوار الأديان لمدة أكثر من ثلاثة عقود بين الجمهورية الإسلامية والفاتيكان بصفته مركز زعامة الكنيسة الكاثوليكية. هذا الحوار في العقود القليلة الماضية كان له تأثيرٌ في تبين آراء الإسلام - خاصة مذهب التشييع - حول مختلف القضايا العالمية. بما في ذلك القضايا السياسية والدينية، وقاد ذلك الفاتيكان لفهم أفضل لدور التشييع في العلاقات والقضايا الإقليمية.
2. سيكون لهذا اللقاء التأثير في تعزيز المكانة الروحية لآية الله العظمى السيد السيستاني ليس لدى المسلمين والشيعة، فحسب بل لدى الأقليات الأخرى، خاصةً المسيحيين في العراق، أكثر مما في السابق.
3. حقيقة الأمر أنّ المسيحيين العراقيين وجدوا أنّ دعم آية الله العظمى السيد السيستاني أكثر تأثيراً من دعم زعمائهم الروحيين.
4. السياسة العامة لآية الله العظمى السيد السيستاني هي الدفاع عن كلّ العراق وقبوله حقائق العراق التاريخية؛ لذا فإنّه لا يتردد في دعم الحقوق الطبيعية للطوائف والأقليات المختلفة وهذا ما يسبب القلق فقط لمن يريد تقسيم العراق وتجزئته.
5. إنّ ذهاب البابا للقاء آية الله العظمى السيد السيستاني في بيته أمرٌ مهمٌّ جداً، ولو كان هذا اللقاء في مكانٍ آخر في النجف لأصبحت أهمية الأمر أقلّ مما هو عليه الآن.
6. أوضح البابا من خلال هذا اللقاء التاريخي أنّ الإسلام لا يلخّص بالقراءة السنّية للإسلام، وأنّه يتفاعل مع القراءتين السنّية والشيوعية للإسلام.
7. لا يمكن توقّع تأثيرٍ ملحوظٍ للبابا على نظرة الغرب تجاه الإسلام، أو على سلوك الزعماء الغربيين تجاه المسلمين، لكن لا ريب أنّ البابا يستطيع - ومن خلال إبراز آرائه - تغيير وجهة نظر الرأي العام المسيحي - خاصةً الكاثوليكين - تجاه الإسلام والمسلمين.
8. هل سيكون لهذا اللقاء التأثير الجوهري في تصحيح أو تغيير المباني الكلامية لكلّ من المسلمين والمسيحيين؟ الإجابة هي النفي، حيث أنّ البحوث والنقاشات

الكلامية قد تمت خلال قرون من الزمن بين المتكلمين والمتألهين من الطرفين، ولا شك أنه من غير الممكن في هذا اللقاء طرح هكذا مسائل أو تغييرها. 9. بالتأكيد ان كل من المسيحيين والمسلمين لا يغيرون مبادئهم وعقائدهم، لكن هكذا لقاءات لها تأثير في تخيف التوترات السياسية وتخفيف المعاناة الإنسانية والتعاطف مع الضحايا وعوائلهم وإرسال رسائل أخلاقية لها تأثير إلى حد ما.

(مركز الدراسات السياسية والدولية)

مصطفى بروجردي، باحث في العلاقات الدولية وسفير سابق لجمهورية إيران الإسلامية لدى الفاتيكان.